المصطلح الصّوفي؛ مفهومه ونشأته وأنواعه وخصائصه

The mystic "Sufi" term; Its concept, origin, types and characteristics

امحمد سحواج[1]

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف–(الجزائر) m.sahouadj@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2021/04/09 تاريخ القبول: 2021/04/26 تاريخ النشر: 2021/06/01

ملخص:

يعد المصطلح مفتاح العلم وأداته الذّي لا يستغني الباحث عنه، وهو العماد الذي يبنى عليه العلم. كما يمثل حلقة الاتصال بين العلماء بعضهم ببعض، وينقل ما توصلوا إليه من نتائج في أبحاثهم إلى الدارسين من بعدهم.

وعليه يضطلع المصطلح بوظيفة أساسية في حياة الإنسان، فهو ينظم عملية التواصل بين أفراد المجتمع في شتّى المجالات، أي أنّ المفاهيم التي تنقل إلى الأذهان بواسطة الكلمة تمّ الاتفاق عليها، وهذه الكلمة سميت بالمصطلح، وهو الذّي يشكل الركيزة الأساسية في أيّ نص تتعامل معه.

ولذا يقول حسن شرقاوي: "لكلّ علم مصطلحات يعرف بها ويتعارف أصحاب هذا العلم بعضهم مع بعض من خلالها... فالصّوفيّة لم يفعلوا شيئا غريبًا عندما استنوا لأنفسهم منهجا ونظاما وألفاظا لا يفهمها غير أهل الحقيقة وتكون للغريب غير معلومة مهما بذل من الجهد والدراسة لتحصيلها."

وعلى هذا الأساس عنون مقالنا بـ: المصطلح الصّوفيّ؛ مفهومه ونشأته وأنواعه وخصائصه.

كلمات مفتاحية: المصطلح؛ المصطلح الصّوفيّ؛ خصائصه؛ أنواعه.

Abstract:

المؤلف المرسل: امحمد سحواج

The term is the key to science and its tool, which is indispensable to the researcher, which is the pillar on which science builds and represents a link between scientists and each other, and convey their findings in their research to the students after them.

Therefore, says Hassan Sharkawi (for each terminology known to know and each other though each of them… Sufism did nothing strange when they enacted themselves a methodology and a system and words to understand it is unknown, no matter how much effort and study to called them).

And on that basics the title of our article that (the mystic term its concept, its origins, its types, and its characteristics).

Keyword :

Term -Mystic Term -Characteristics -Its types.

. المصطلح [1]مفهومه وخصائصه:

أ. مفهوم المصطلح:

دلت المعاجم على أن الفعل اصطلح ومصدره، وما يشتق منه يعني الاتفاق والتعارف على شيء ما من قبل طائفة من الناس (منظور، 1994، صفحة 238)[2].

وفي الاصطلاح، عرفه الجرجاني (ت:816هـ)، فقال: "هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه أول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما ". (الجرجاني، صفحة 23)[3]

وهو:"اتفاق طائفة على وضع لفظ بإزاء المعنى" (الجرجاني)[4]، وهو –أيضا-: "إخراج الشيء من معنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد "[5] . (الجرجاني)

تؤكد هذه التعاريف الاصطلاحية تؤكد الاستعمال المعجمي للفظ المصطلح.

ب. خصائص المصطلح:

المصطلح هو رمز لغوي له دلالة محَددة في حقل معين من حقول معرفة،وهو ينفرد بمجموعة من خصائص منها:

أ-البنيَّة الإفرادية.

ب-الخفة في النطق به.

ج-وضوح ودقة دلالته.

د-مراعاة خصائص البنية الصَرفية والصَوتية للغَة.

هـ-وجود علاقة تربط بين أصله اللغوي ووضعه الاصطلاحي [6]. (وغليسي، 2004، صفحة 09)

2. مفهوم المصطلح الصَوفي وأنواعه وخصائصه ونشأته ودلالاته:

وإذا رجعنا إلى الكتب الصّوفية* التي تبحث في معاني الألفاظ الصّوفية، ومنها قول أبي القاسم عبد الكريم القشيري (ت: 465هـ) وفي باب تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها، حيث يقول: «أعلم أن من العلوم :أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها-فيما بينهم- انفردوا بها عمن سواهم تواطئوا عليها:لأغراض لهم فيها:من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم لأنفسهم، والإجمال والسّتر على من باينهم في طريقتهم؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب..."[7]. (القشيري، صفحة 150)

فالمصطلح الصوفي هو بمثابة حل وضعه المتصوفة لفهم بعضهم البعض (بَلعلى، 2001، صفحة 49)[8]

وعرفه عبد الرزاق الكاشاني (ت:730هـ) بقوله هو: " مفهوم عرفي يشترك في إدراكه أبناء الطائفة الخاصة". (الكاشاني، 2007، صفحة 12)[9]

وعرفه حسن الشرقاوي بقوله:"لفظ لا يعرف عن طريق المنطق والعقل بقدر ما يفهم عن طريق الذوق والكشف،...والسّير في طريق الله بالمجاهدات في الطاعات حتى تنكشف غوامضه،وتتجلى معناه، لمن وصل إلى درجته،أو تحصل عليه من شيخه في الطريق..." (الشرقاوي، 1987، صفحة 108)[10]

نستنتج هذه المفاهيم أن المصطلح الصّوفي هو:

- رمز لغوي خاص انفرد به أهل الحقائق.
- عبارة عن مسلك لتجربة خاصة،تنتقل عبره المضامين الصوفية بين الشيخ والمريد.

وتأسيسا على ما سبق، يمكن حصر ألفاظ التجربة الصّوفية في بنيتين عميقتين (حبار، 2002، صفحة 112)[11]، هما:

أ-بنية مصطلحات المقام*

ب-وبنية مصطلحات الحال**

- ونبيّن ذلك بالرسم التّخطيطي الآتي:

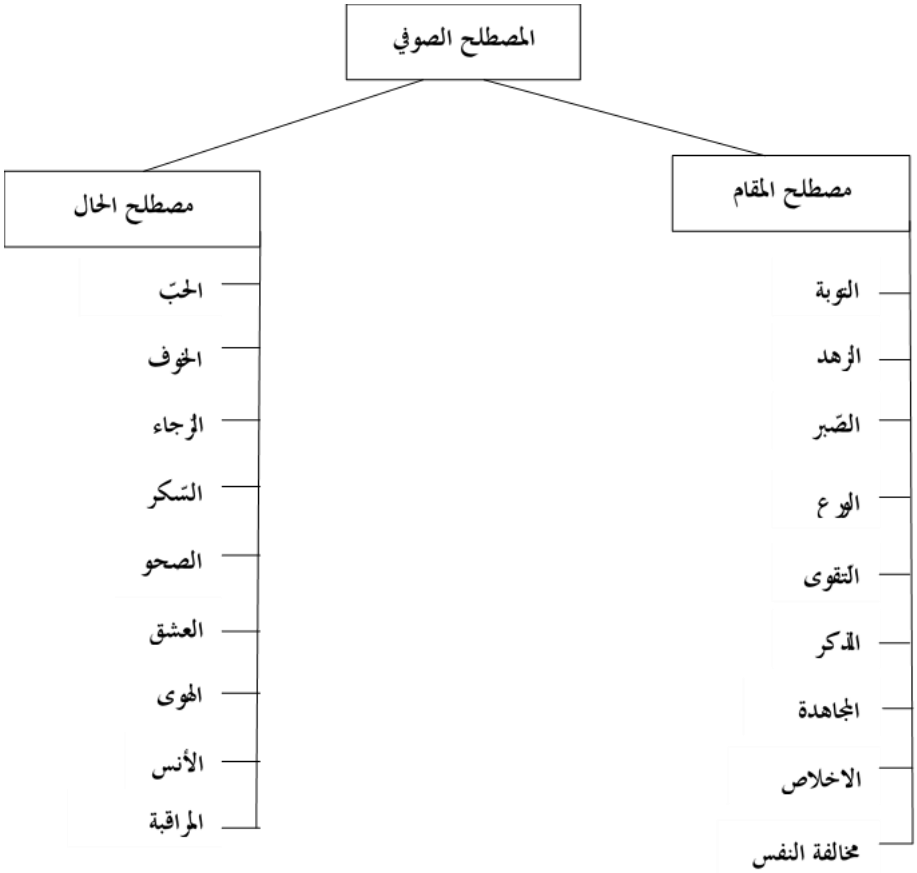

وعلى الرّغم من هذا التصنيف المصطلحي للمقام والحال؛ فإنه يوجد تداخل واشتباه بينهما (الغزالي، الصفحات 281-282)[12] يتراءى لبعض الشيء حالا ويتراءى للبعض مقاما. وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخل بينهما (بوزيان، 2013، الصفحات 291-292)[13] .

وتتطلب الدراسة المصطلحية، الفصل والتحديد بينهما، لذا وضع أهل الاختصاص (القشيري، الرسالة القشيرية، الصفحات 103-104)[14] قاعدة تحدد من خلالها الحال والمقام، أي أن القاعدة: هي: الزوال والثبات،"فالحال قد يتحوّل إلى مقام إذا قرّ وثبت، والمقام قد يتحوّل إلى حال إذا زال وتلاشى" (الغزالي، صفحة 281)[15].

أ-خصائص المصطلح الصّوفي: (الكاشاني ح.، الصفحات 7-12)[16]

يتميز المصطلح الصوفي بمميزات، تتّضح برصد الفوارق بينه وبين المصطلح العلميّ،والتي تظهر في الجدول الآتي:

المصطلح العلميّ	المصطلح الصّوفي
1- ألفاظ تفهم عن طريق المنطق والعقل.	1-ألفاظ تفهم عن طريق الذّوق والكشف.
2- لفظ له مدلول واحد.	2-لفظ متعدد ومتنوع الدلالة بحسب المقامات والمنازل.
3- معنله محدد سلفاً .	1- معناه غير محدد سلفًا.
4- تحصله بواسطة الدراسة.	4-تحصيله يخوض التجربة،وتذوق حلاوة الطريق.
5- نادرًا ما يمثل المشترك اللفظيّ.	5-يمثل المشترك اللّفظي.
6- متعدد التخصّص والموضوع.	6-متعدد الموضوع.
7- عبارة عن إشارات ورموز علميّة.	7-عبارة عن إشارات ورموز روحانية وذوقيّة.
8- يتطلب أستاذًا.	8-يتطلب شيخ الطريقة.
9- جملة من تعبيرات والأفكار.	9-ينظر من المعاني والفتوحات والأسرار.
10- وضع اللفظ للحقيقة*.	10-وضع اللّفظ للحقيقة والمجاز**
11- معرفة ذات بعد عقلي.	11-معرفة ذات بعدي نفسيّ وروحي.
12- مفهوم عرفيّ يدركه أبناء العلم الواحد (مصطلح).	12-مفهوم غير عرفيّ بين أبناءه(لفظ).
13- 13- ذو نزعة تفسيرية***	13-ذو نزعة تأويلية****

ب-المراحل التاريخية للمصلح الصّوفي:

تبين لنا من تتبعنا للمسار التاريخي للمصطلح الصّوفي، أنه مر بمراحل تاريخية نمت نموًا طبيعيًا، وتدرجت تدرجاً سليمًا في تصاعدها من بداية دلالات الزهد والمجاهدة، إلى نهاية دلالات الكشف والتّجلي والمشاهدة.

من هنا،يمكننا القول إن المصطلح الصّوفي مر بأربع مراحل هي: (الحسيني، 2005، صفحة 41)[17]

- **الأولى(مرحلة النشأة)**:تميز فيها المصطلح الصّوفي بالبساطة وغلبت عليه النزعة العملية حيث مال إلى التنسك والتزهّد.
- **والثانية(مرحلة النّضج والتربية)**:عرف فيها المصطلح الصّوفي التوجه الفلسفي الرّوحي بحيث تميز بالغموض والغربة والعمق.
- **والثالثة(مرحلة الازدهار الفكري والعملي)**:ظهر فيها المصطلح الصّوفي بطابعه الفلسفي ومدارسه، وأعلامه ؛ مثل:ابن عربي ، وابن سبعين والششتري وهلم جرّا (الإدريسي، 2012، صفحة 95)[18].
- **والرابعة(التصوّف السّني العملي)**:اختار وتحرك المصطلح الصّوفي في هذه المرحلة في إطار الكتاب والسنة،ورفض الخوض في القضايا الفلسفية (الإدريسي، ينظر: في التصوف المغربي، ،ط:01، 2006 ، صفحة 84)[19]، ويعتبر القشيري(ت:465هـ) والهروي(ت:481هـ) وأبوحامد الغزالي(ت:505هـ) من أبرز صوفية هذه المرحلة.

ونبين المراحل التاريخية للمصطلح الصوفي بالمخطط الآتي:

ولعل هذا التقسيم التاريخي للمصطلح الصّوفي، هو عمل شكلي بحت الهدف منه تسهيل البحث، وتوصيل الفكرة والرؤية للقارئ.

مراحل المصطلح الصوفي
المرحلة الأولى
(النشأة والزهد) القرن الأول والثاني الهجريين.
البساطة
النزعة العملية.
النسك الزهد
من أعلامها:
الحسن البصري(ت:110هـ).
ابراهيم بن أدهم(ت:159هـ).
رابعة العدوية(ت:185هـ).
الحارث المحاسبي(ت:242هـ).
المرحلة الثانية
(النضج والتربية) من منتصف القرن الثالث إلى قرن الخامس الهجريين
الفلسفة الروحية
الكشف عن أحوال النفس.
الذوق والعرفان.
من أعلامها:
ذو النون المصري(ت:244هـ).
أبو زيد البطامي(ت:260هـ).
الجنيد(ت:298هـ).
المرحلة الثالثة
(الإزدهار الفكري والعملي)من القرن السادس إلى القرن السابع الهجريين
نزعة الفلسفية.
وحدة الوجود.
الوحدة المطلقة.
الحلول والإتحاد
الحب الإلهي.
الإشراق..
من أعلامها:
الحلاج(ت:309هـ).
السهروردي(ت:586هـ).
ابن غربي (ت:638هـ).
ابن سبعين(ت:668هـ)
المرحلة الرابعة
(التصوف السنّي العملي)من القرن الثامن الهجري
الاعتصام بالكتاب والسّنة.
تميز هذه المرحلة بمرحلتين متميزتين:
مرحلة الفتور والتقليد من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر الهجريين
من أعلامها:
السيوطي(ت:911هـ)
الشعراني(ت: 973هـ))
النهضة والصحوة من الثاني عشر إلى الخامس عشر الهجريين.
من أعلامها:
القشيري(ت:437هـ
الغزالي(ت:505هـ)

ج–المصطلح الصّوفي من حيث التّوظيف والدّلالة:

يمر المصطلح الصّوفي في أدائه وكشفه عن مضمونه ومعناه بمراحل ثلاث (الكاشاني ع.، صفحة 15)[20] هي كالآتي:

أ- **المرحلة الأولى:** (الكاشاني ع.، صفحة 15) [21]هي مرحلة لغوية صرفة؛ فهي دلالة عامة.يعتمد فيها الصوفي على الدلالات اللغوية المختلفة بغية إلقاء المزيد من الضوء حول المصطلح.

ب- **المرحلة الثانية:** (الكاشاني ع.، صفحة 15) **[22]**مرحلة دينية شرعية ؛إذ جُلّ مصطلحات الصّوفية تدور في فلك العقيدة الدّينية وأحكامها الشّرعية،وتعتمد هذه المرحلة على الإحاطة التامة بالفقه وأصوله،لمعرفة مرمى هذه المصطلحات في عموم الشريعة بعد معرفة معانيها المتباينة في اللغة؛ حيث يصل المصطلح إلى معناه الخاص

ج- **المرحلة الثالثة:** (الكاشاني ع.، صفحة 15) **[23]** وهي مرحلة صوفية صرفة،يصل فيها المصطلح إلى معناه "الخاص الخاص"؛ أي المستوى الذوقي العرفاني بكل ما يحمله من ثقل دلالي.

وانطلاقا مما سبق يمكن توزيع المصطلح الصّوفي وفق مستويين: (زايد، 2011، صفحة 25)[24]

أ- المستوى العياري أو المعجمي الدّلالي.

ب- والمستوى السلوكي والأخلاقي.

المستوى الإشاري الرمزي أو العرفاني.

خاتمة:

يتميّز المصطلح الصّوفيّ بمجموعة من الخصائص ومنها:

أ- البنية الإفرادية (التّوبة، الذّكر، الزّهد، الصّبر، الحال، المشاهدة...).

ب- غموض دلالته.

جـ- عدم وجود علاقة تربط بين أصله (اللّغويّ ووضعه الدّلاليّ).

الإحالات والهوامش:

[1]المصطلح: اسم مفعول للماضي اصطلح، ومصدره اصطلاح.
المصطلح هو جذر من لفظة "صلح" والصلاح ضد الفساد.

وهو اتفاق طائفة مخصوصة من القوم على وضع الشئ أو كلمة ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم(مقدمة)محمد علي التّهانوي (ت:1191هـ)، تح: علي دحروج وعبد الله الخالدي وجورج زيناتي، مكتبة لبنان،ناشرون،ط:01 ،بيروت،لبنان،1996،ج5،(أ-ش)،ص:55.ولم يستعمل القرآن مفردة المصطلح أو الاصطلاح لكن استعمل معناها ،وهو معنى الصلح فقال الله تعالى :﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ،وأما في الحديث الشريففقد ورد لفظ "المصطلح" بصيغة الفعل "اصطلح" ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:"...ثم يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ"، وقَالَ أَيْضًا صلى الله عليه وسلم:"...فَلَمَّا اِصْطَلَحْنَا نَحْنُ أَهْلُ مَكَّةَ..."[1]،ويقول كذلك صلى الله عليه وسلم:"...وَهَذَا مَا اِصْطَلَحَ عَلَيْهِ محمد بن عبد الله وسَهْيلَ بَنَ عَمْرُو...".ينظر مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت:241هـ) ،دار صادر ،بيروت ،ج:04 ،ص:49.

« Le terme et une dénomination à fonction strictement référentielle et classificatrice, correspondant souvent à des noms scientifiques et à une définition ». Voir lexique sémantique, josetterey-deboven presses Universitaires, paris France ,1979, p :147.

[2] ينظر لسان العرب، ابن منظور (ت:711هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، ط:3، بيروت-لبنان ،1994، مج :4، ص:238، مادة صلح.

[3]كتاب التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت:816 هـ)، ص:23.

[4]المرجع نفسه، ص:23.

[5]المرجع نفسه، ص:23.

[6]ينظر: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي، منشورات الاختلاف، ط:01، الجزائر، 2004، ص:09.

[*] الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم القشيري (ت:465هـ)، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن شريف،دار المعارف، القاهرة، ج01، معجم اصطلاحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني، وقواعد التصوف، لأحمد زرّوق.

[7]الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم القشيري (ت465هـ)، ج:01، ص:150.

[8]ينظر الحركية التواصلية فالخطاب الصوفي من القرن الثالث الى القرن السابع الهجريين،آمنة بَلعلى، منشورات الكتاب العرب،دمشق،2001،ص:49.

[9] معجم اصطلاحات الصّوفية، عبد الرزاق الكاشاني(ت:730هـ)، تح:عبد الخالق محمود ،مكتبة الآداب،ط:03،القاهرة 2007 ص: 12.

[10] معجم ألفاظ الصّوفية، حسن الشرقاوي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ط:01، القاهرة، 1987، ص:108.

[11]ينظر شعر أبي مدين التلمساني (الرؤيا و التشكيل)، مختار حبار،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،2002،ص:112.

[*]المقام:"ما يتحقق به العبد بمنازالته من الآدب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب،وقاساة تكلف".

[**]والحال:"معنى يرَد على القلب،من غير تعمد منهم،ولا اجتلاب،ولا أكتتساب لهم، من:طرب،أو حزن،أو بسط"،الرسالة القشرية،أبو القاسم عبد الكريم القشري(ت:465هـ)،ج:1،ص:153-154.

[12] ينظر: عوارف المعارف بحاشية إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، السهروردي(ت:632هـ)، تح: بدوي طبانة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ج:04، ص:281-282.

[13]ينظر: بنية المصطلح الصوفي وإشكالية التّواصل، أحمد بوزيان، مجلة اللغة والاتّصال، جامعة وهران، الجزائر، ع:13، أفريل 2013،ص:92،91.

[14] ينظر: الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ج:01، ص:103، 104.

[15] عوارف المعارف بحاشية إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ، السهروردي(ت:632هـ)، ص:281.

[16]ينظر: معجم اصطلاحات الصّوفية ، عبد الرزاق الكاشاني، ص:من 11 إلى 17 ن ومعجم ألفاظ الصّوفية، حسن الشرقاوي، ص: من 07 إلى 12.

[*]الحقيقة :أن اللفظ وضع لهذا المعنى ،وهي كذلك "إسناد الفعل او معناه إلى ما هو له عند المتكلّم في الظاهر"الإيضاح في علوم البلاغة ،خطيب القزويني(ت:739هـ)،تح:محمد عبد المنعحم خفاجي،دار الجيل،ط:03،بيروت،مج:01،ص:80.

[**]المجاز:أن اللفظ لم يوضع لهذا المعنى،وهو كذلك"إسناد الفعل أو معناه إلى غير ما هو عند المتكلم في الظاهر"،ينظر:المرجع نفسه،المجلد نفسه،ص:82-83.

[***] التفسير لغة كما ورد في لسان العرب هو"البيان والكشف،يقال:فسّر الشيء يُفسِّره وفسّره أبانه ،والفسْر كشْف المغطّى والتّفسير كشْف المراد عن اللفظ المشكل"ابن منظور،مادة (فسر)،أما اصطلاحاً فهو:"توضيح معاني الآية،وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه ،بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة ،كتاب التعريفات،الشريف علي بن محمد الجرجاني،ص:50.

[****] التأّويل ورد في لسان العرب بمعاني متعددة يمكن توضيحها بهذه الخطاطة التالية:

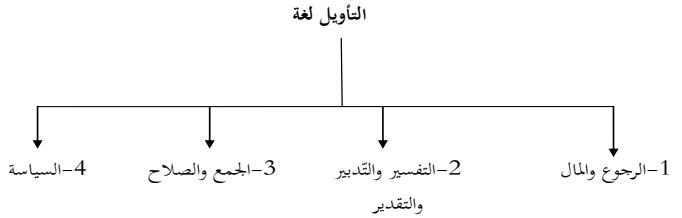

ينظر: ابن منظور: ج:11،مادة (أوّل)،ص:32-33.

أما اصطلاحا فهو:"صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله..."كتاب التعريفات،ص:40.

وقيل:"إنّ التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلاّ وجها واحدًا والتّأويل بيان لفظ يحتمل أوجه متعددة ،ينظر: مفتاح السعادة ج:02،ص574.

[17] ينظر:موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التّصوف والعرفان،محمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني،دار المحبة ،ط:01 ،سوريا، دمشق،2005، ج:01، ص:41.

[18] ينظر:تأملات في الفكر الصّوفي الأندلسي،محمد العدلوني الإدريسي،دار الثقافة،ط:01،الدار البيضاء،المغرب،2012 ص:95.

[19] ينظر: في التصوف المغربي،محمد العدلوني الإدريسي،دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط:01، الدار البيضاء،المغرب،2006 ص: 84.

[20] معجم اصطلاحات الصوفية ،عبد الرزاق الكاشاني(ت:730هـ)،تح:عبد الخالق محمود،ص:15.

[21] المرجع نفسه، ص:15.

[22] المرجع نفسه، ص:15.

[23] المرجع نفسه، ص:15.

[24] ينظر :أدبية النّص الصوفي بين الإصلاغ النّفعي والإبداع الفنّي،محمد زايد عالم الكتب الحديث ،ط:01،إربد-الأردن ،2011ص:25.